وقد رحل شاباً، قوى العزم، إلى بلاد الشام ماراً بمصر وقد هـ أ الله تعالى لابن مالك الحياة العلمية، التى ارتحل من أجلها، وكان الإمام، والمدرس ببلاد الشام.

أمّ بالسلطانية بحلب، ودرس بها، كما أمّ بالعادلية وصار المدرس بها، وصارت مستقر أسرته، ومقر إمامته، وتدريسه ومن مدرسته العادلية تفجرت ينابيع العلم غزيره. وصار الباحث، والمدرس والإمام وتحليلنا لمنظومته النحوية وإبداء رأينا فى تفاصيلها وأبوابها وتقسيمها وتصنيفها وأمثلتها وشواهدها ولغتها وتأييد الآراء التى قيلت فيها، لايعدّ كل ذلك قدحاً فى علم الرجل وإنما هو تحليل للمنظومة نفسها وتقييم لها فى ذاتها وبحث لمدى نفعها وأدائها للوظيفة التى صنعت من أجلها.

وعلى الرغم من كثرة ما أنتج فى تلك الفترة، ومن تميز المؤلفات فى مختلف العواصم بسمات محلية فإنها لم تخرج فى جملتها منهجاً ومضموناً عن الموروث[1] لقد كثرت تلك المؤلفات النحوية وتنوعت ومالت إلى الإسراف فى الحجم حتى غدت دراسة النحو عملاً شاقاً يستنفد أعمار الكثيرين مع أن النحو – باعتراف الجميع – وسيلة لاغاية، ويبدو أن هذا الأمر هو ما دعا ابن مالك ومن قبله ابن معطٍ إلى التفكير فى صنع المنظومات الموجزة بعيداً عن الحشو والتطويل والإسراف ولأنها أيضاً وسيلة جديدة على علم النحو ومتعلميه.

المنثور والمنظوم من أعمال الناظم

أ- المؤلفات النحوية:

١- الكافية الشافية.

٢- الوافية فى شرح الكافية.

٣- الخلاصة المشهورة بالألفية.

---

(١) محمد الطنطاوى، نشأة النحو، ص ١٦٦ – ١٦٧، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٩م.